القسم الرابع
حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

دراسة فى كتاب جورج بوش الجد
«محمد مؤسس الدين الإسلامى»(*)

أ.د/ جعفر عبد السلام(**)

تمهيد

حسنًا أن تعقد كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية الليبية الشقيقة هذه الندوة المهمة عن القراءة الغربية للقرآن الكريم، فهى قضية مهمة، خاصة فى الوقت الحاضر، الذى تتداعى فيه الأمم على الإسلام والمسلمين بشدة، فى موجات متلاحقة، كما تنبأ بذلك الرسول محمد ﷺ، والذى تنبأ بهذا التداعى وشبهه بما تقوم به الأكلة على قصعتها وهو حديث شريف تنبأ لنا كذلك بأننا سنكون كثرة فى العدد، ولكن غثاء كغثاء السيل، ومطلوب منا أن نعلم أمر ديننا؛ لتغيير هذا الحال إلى حال آخر. ولكى نأخذ بأسباب التقدم الذى يقتضى الاستحواذ على عناصر القوة.

ولهذا اخترت كتاب "جورج بوش الجد"؛ لأنه مهم من الزاوية التى تهتم بها هذه الندوة، زاوية القراءة الغربية للقرآن الكريم، حيث قام الكاتب بدراسة القرآن الكريم، لكن هذه الدراسة -للأسف- لم تعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التفسيرات الصحيحة له، بل اعتمدت على التفسيرات والمصادر الغربية المغرضة، التى أولاها المستشرقون عنايتهم. وهذه القضية فى غاية الأهمية، فهى تظهر عجزنا عن توصيل التفسيرات الصحيحة لكتابنا المقدس(القرآن الكريم) إلى الآخر.

وعندما ذهبت فى وفد شكلته وزارتا الأوقاف والخارجية المصرية للغرب

(*) عنوان الكتاب بالإنجليزية:
Bush, George (1796-1859), The life of Mohammed; founder of the religion of Islam, and of the Empire of the Saracens.

(**) أستاذ القانون الدولى العام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

-وللندن بالذات-، أثارت الجالية المسلمة هناك -وهى كبيرة- هذه المسألة، وقالوا إن المكتبة الغربية تكاد أن تكون خاوية من مراجع عن الدراسات الإسلامية والفكر الثقافى الإسلامى باللغة الإنجليزية، وطالبنا البعض بعمل مشروع مثل المشروع القديم، مشروع الألف كتاب، الذى تتعهد فيه دولنا ومنظماتنا الإسلامية المنتشرة فى كل مكان بوضع خطة للتأليف فى الفكر الدينى الإسلامى بشكل مكثف، وباللغة الإنجليزية على الأقل؛ حتى يستطيع أفراد الجالية المسلمة أن يردوا على تلك الدعاوى الظالمة التى تنطلق ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب.

وتكشف قراءة هذا الكتاب عن مصادر المعلومات المغلوطة، التى يعلمها الأمريكى العادى عن العرب والمسلمين، وعن الرسول ﷺ والقرآن الكريم. والواقع أن "بوش الجد" نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٨٣١م، وأعيد طبعه عدة طبعات، ولكنه بدأ ينتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية الآن، ويستند إليه أغلب من يريد مهاجمة العرب والمسلمين. والطبعة المترجمة هى طبعة مطبوعة من الكتاب عام ١٨٤٤م.

ونستطيع أن نلمس بعض الظواهر التى أعتبرها وراء هذا الفكر الشاذ، الذى قاد بوش إلى تأليف هذا الكتاب، هى:

١- سلسلة المراجع التي رجع إليها بوش كلها أجنبية وأغلبها كتب فى الغرب.

٢- أن المؤلف يقول أنه قد بذل قصارى جهده فى استخلاص صورة عادلة من خلال المصادر المتاحة له. وهذا فى الواقع هو الكارثة، فكل المصادر التي رجع إليها مغرضة، وليس منها كتاب واحد باللغة العربية، وبالتالى فالصورة الذهنية التى تشكلت لدى الكاتب هى صورة مشوهة. وأعتقد أن أي باحث فى الإسلام لا يعرف العربية، ومن لا يقرأ العربية، ليس من السهل أن يصل إلى الحقائق المتصلة بشخصية الرسول ﷺ. وقد ذكر المؤلف مراجعه وكلها باللغة الإنجليزية كما

سبق، وهذه مسألة يجب أن نأخذها في اعتبارنا. فالمؤلف يقول[1]: « ولكي نحافظ على استمرارية القصة دون أن نقطعها بذكر المصادر، فإنني أقدم هنا المصادر الرئيسية التي رجعت إليها في كتابة السيرة الحالية: ترجمة سير للقرآن الكريم في مجلدين، تاريخ العالم (سلسلة مود). مجلد رقم ١، كتاب جيبون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، مجلد ٣. كتاب بريدو عن حياة محمد ﷺ، وكتاب يحمل العنوان نفسه ألفه "بولينفيليير"، وكتاب آخر يحمل العنوان نفسه في سلسلة مكتبة المعلومات المفيدة رقم ٤٥. وقاموس بايل التاريخي، مادة محمد، وتاريخ الشرقيين لهوتنجر، وتاريخ الأسرات الحاكمة لأبي الفراجي، بترجمة بوكوك. وكتاب مرجان: شرح الإسلام في مجلدين، وكشف حقيقة الإسلام لفوستر في مجلدين. والمكتبة الشرقية لدير P.7 بلوت. وكتاب رايكوت: الوضع الحالي للإمبراطورية العثمانية. وكتاب تاريخ العرب والمسلمين السرسرية لأوكلي، في مجلدين. ومجموعة محاضرات هويت.. وترجمة "لي" لكتابات الموقر هـ.مارتين المثيرة للجدل. وكتاب "هويتيكر" عن أصول الآريوسية. وكتاب "فيبر" عن النبوة والنبوءات، في ثلاثة مجلدات. ورحلات بكنجهام وكيبل وبركهارت ومادن في بلاد الشرق».

٣- تأثير عمله الديني عليه. لقد كان واعظًا بارعًا في الجدال والمناظرة، وراعيًا لإحدى الكنائس في "إنديانا بولس" أستاذ اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك، وله مؤلفات وأبحاث في شرح أسفار العهد القديم. وكل هذا أثر على تفكيره، وجعله يتخذ موقفًا متجنيًا على نبينا بشكل خاص، وعلي العرب بشكل عام، ثم على الكنيسة الشرقية وكل ما يخالف العقيدة التي ينتمي إليها، أي الكنيسة الغربية.

وإذا كنا نعتبر من إيجابيات هذا الكتاب أنه اعترف بأن العرب يرجع أصلهم إلى

(١) راجع مؤلفه: "محمد مؤسس الدين الإسلامي"، ص٩٤.

إسماعيل -عليه السلام- معتمداً فى ذلك على نصوص من العهد القديم، ومخالفًا فى ذلك طائفة من المستشرقين الذين أنكروا هذه النسبة. ومع ذلك فما لبث أن هاجم هذا الجنس، ورماه بأحط الأوصاف، وهذه ملحوظة مهمة يجب أن نأخذها فى اعتبارنا ونحن نتحدث عن هذا الكتاب وعن مؤلفه.

يقول "بوش": «نضيف هنا مقارنة تبين التشابه بين طبيعة العرب فى كل العصور، وطبيعة جدهم الأعلى إسماعيل: سيكون إنسانًا وحشيًا، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه». ويقول فى موضع آخر من الكتاب: «إن ثروة عبد الله بن عبد المطلب -والد الرسول ﷺ- قد سُلِبَت؛ لأن السلب خاصية من خصائص العرب»[1].

كذلك نجد هذا الفهم السلبى عن العرب عندما يتحدث عن ميراث النساء، فيقول: «إن العرب الوثنيين نزّاعين لمعاملة الأرامل والأيتام بطريقة غير عادلة، وهم يميلون إلى القول بأن الميراث يجب على القادرين على حمل السلاح، بل كانوا يرتبون لاعتبار الأرملة جزءاً من ممتلكات الرجل، تورث كما تورث باقى الممتلكات».

(١) شتان بن هذا التصور الغريب لطبيعة سيدنا إسماعيل، وبين ما رواه القرآن الكريم عنه وعن طاعته لله وطاعته لأبيه عندما قال له أبوه برواية القرآن الكريم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، وقيامه بمساعدة والده فى بناء الكعبة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩]. ولم نجد فى سور القرآن الكريم إلا مدحًا وتقديراً لكل الأنبياء بما فيهم إسماعيل وموسى وعيسى، ولكننا -للأسف- نجد الإساءة إلى الأنبياء، بل وإلى الحق -سبحانه وتعالى- نفسه هو إحدى السمات المتواترة فى العهدين القديم والجديد.

ورغم أن العرب اشتهر عنهم الكرم وحماية الضعيف ونصرة الحق، إلا أنه كان بهم الكثير من العيوب التى أرسل الله نبيه لهدايتهم وتصحيحها، وليس من شك فى أنها ضبطت بعد بعثة الرسول ﷺ إليهم.

ومعروف أن هذا موجود فى الشريعة اليهودية -وعلى حسب علمى- لم يكن سائداً فى بلاد العرب، ولكن الحقد الذى يملأ نفسه ضد العرب والمسلمين هو الذى يؤثر على كتاباته.

٤- نلحظ كذلك فى هذا الكتاب النزعة العنصرية الواضحة لهذا الكاتب، وتناقضه فى فهم شخصية الرسول ﷺ، فهو من ناحية يعتبره "دعيًا" وليس نبيًا، لكننى ألاحظ فى كثير من الصفحات فهمه بشكل آخر. فهو يقول: «ربما كان محمداً فى الأصل مبرأ من أية دوافع شريرة متأصلة فى شخصيته وأكثر من هذا فربما كان نتيجة لتأملاته، مخلصًا بوازع من نفسه، ونتيجة لإيمانه بأن الله واحد لا شريك له، ونتيجة إيمانه بأن بقية العالم قد أفسد هذا التوحيد (أشرك مع الله آخرين)، فعمل على تخليص قومه والعرب جميعًا من عبودية هذا الخطأ (الشرك بالله) أما وقد كان هذا دافعًا فى البداية، مصحوبًا بخيال خصب وحماسة حارة، فربما وصل به الأمر فى النهاية إلى تأكده الجازم واقتناعه اليقينى بمهمته بوصفه مكلَّفًا من الله -سبحانه- ليكون أداة لإصلاح عظيم رائع، وكان من الطبيعى أن تؤدى به ظروف تنسكه (اعتزاله للعبادة) إلى ترسيخ هذه المعانى بشكل أعمق فى عقله ونفسه. ومن المفترض أنه -بهذه الطريقة- بدأ مهمته، لكنه قد وجد نفسه قد حقق نجاحًا فاق ما كان يتوقعه، وزادت شعبيته وقوته، وطغى أخيراً حبه لنفسه على أمانته، وفاق طموحه إخلاصه وتقواه، وراحت خططه تتسع وتزداد كلما حقق نجاحًا. لقد بدأ مشروعه بدافع التقوى فأصبح فى خاتمة المطاف مُدَّعِيًا عنيدًا، وحاكمًا (امبراطوراً) بلا مبادىء منغمسًا فى الملذّات».

وهكذا نجد تفسيراً غريبًا، يتحول الرسول من رجل مؤمن مخلص حامل رسالة إلى شخص دعىّ عنيد، وحاكم بلا مبادىء منغمس فى الملذات!!

أى ملذات تلك التى انغمس فيها الرسول ﷺ؟! هل كان عاكف على شرب

الخمر، أو زير نساء؟! هل النبي المتقشف الذى كان يطوى أيامًا لا يدخل الطعام فى بيته؟ هل عرف ناديه المنكر أو الفساد؟! -حاشا لله-، ثم من أين أتاه هذا المشروع -على ما يسميه بوش- للسيطرة على الناس وعلى العالم بعد ذلك وهو ثاوٍ فى غار حراء يتأمل ويفكر؟!

إنه مما يؤسف له أن أضعف أجزاء هذا الكتاب، هو الجزء الذى يتردد فيه المؤلف بين مدح الرسول ﷺ وفهم دوافعه الخيّرة فى إصلاح الفساد الذى تفشى فى قومه وفى العالم، ثم قوله فى نفس الصفحة أنه تحول إلى مخادع متكبر، دون أن يفسر أبداً هذا الانطلاق من الخير إلى الشر بهذه السرعة.

ومع ذلك، فإنه لا يساورنى أدنى شك فى أن هذا الكتاب مغرض، وتمتلىء نفس مؤلفه بالحقد والكراهية للرسول ﷺ وللمسلمين، على ما يتضح من موقفه من كثير من القضايا التى ستتناولها فى هذا البحث

أولاً: قضية أمية الرسول ﷺ:

تتضح قراءة بوش المغرضة للقرآن من زوايا عديدة ، بل إنه يخرج عن الموضوعية تمامًا عندما يقول: «إن أتباع محمد -رغبة منهم فى المبالغة فى مواهب نبيهم- عزوها إلى قوى خارقة، ورغبة منهم فى إضفاء مزيد من الإعجاز على القرآن الكريم، فإنهم يؤكدون عمومًا على أن محمداً كان يجهل القراءة والكتابة تمامًا». ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

وتعتبر قضية أمية الرسول ﷺ إحدى القضايا المحورية التى تصدى لها هذا الكاتب المغرض، وكان كل همه من إثارتها إثبات أن الرسول ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة، لذا فهو الكاتب للقرآن الكريم، وإن لم يستطع أن يفسر كيفية وصوله إلى مثل هذه المعلومات، والتى لا يتسنى معرفتها إلا لمن قرأ فى الكتب السابقة، أى التوراة

والإنجيل. وبالنسبة لمعرفة الرسول ﷺ للقراءة والكتابة، فهى قضية خلافية، وقد ورد بشأنها العديد من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧].

يستدل المؤلف المغرض من هذه الآيات إلى أن الرسول ﷺ صُوِّر فى القرآن الكريم على أنه لا يعرف القراءة والكتابة، وهو يردد السخف الذى قرره بأن القرآن كتبه محمد، لذا كتب هذه الآيات ليثبت أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة. ويرى -أى بوش- أن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه يعيش فى بلاد العرب وهى بلاد تجارية، وتحتاج إلى كتابة المعاملات وتدوينها بدقة حتى لا تضيع المعاملات. ويشير إلى آية .﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٨٢]. فالرسول الذى يكتب القرآن ذكر هذه الآية التى تفضح دعوى أميته فى نظر المؤلف.

ويقول أيضًا: «لكن آخر ما نتوقعه من القرآن الكريم -وهو ادعاء بكل ما فى الكلمة من معنى- أن يكون صادقًا دالاً على الحقيقة». فهناك أدلة كثيرة من هذا الوحى الزائف-على حد زعم المؤلف- تدلنا على أن الكتابة كانت شائعة بين العرب فى تلك الأيام» ويستدل بآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. ويستدل على أن محمداً كان يعلم القراءة والكتابة بالآتى:

* أن على بن أبى طالب كان يعلم القراءة والكتابة، بل كان من كُتَّاب الوحى، وكان يعيش مع محمد فى بيت واحد، فهل يعقل أن أبى طالب علَّم ابنه ولم يعلم ابن أخيه؟

* أن محمداً يظل يعمل بالتجارة، والتجار يشعرون فى كل وقت بحاجتهم إلى تسجيل معاملاتهم ويخشون أن تفلت من الذاكرة أية أجزاء منها، وكانت مكة ملتقى حركة تجارية واسعة؛ لذا كانت القراءة والكتابة لازمة لأهلها إلى حد كبير. وهناك من يقول بأن الرسول ﷺ كان يعرف الكتابة والقراءة، ولكنه يفسر قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨] بأن الرسول ﷺ ما كان يتلو قبل القرآن أى كتاب من كتب أهل الكتاب، سواء التوراة أو الإنجيل، حيث لم يترجما إلى العربية إلا فى القرن التاسع عشر، والآية الكريمة لا تعنى جهل النبى بالقراءة والكتابة، وإنما تعنى أن الرسول ﷺ لم ينقل القرآن نقلاً عن الكتب السابقة، وإنما أتاه القرآن من لدن حكيم خبير[1].

(١) يقول الله -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[الفرقان:٣-٦]. وهذا القول عن القرآن الكريم قديم وقد رد عليه المولى بهذه الآيات وغيرها. وأشاروا إلى أن أحد الأعجميين كان يعلمه القرآن، ورد القرآن مع ذلك بقوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ =

ثانيًا: مصدر القرآن الكريم

إن هذا الكاتب -مثل غيره من الكُتَّاب المسيحيين، الذين كتبوا عن الرسول محمد ﷺ- يهتم بحكاية عابرة ترد فى كتب السيرة مقتضبة غالبًا، وهى لقاء محمد وهو فى رحلة تجارية فى بلاد الشام للراهب بحيرا. فهذا الراهب اكتشف أنه سيكون نبيًا، وسيكون له شأن كبير، وحذر الراهب عم النبى من اليهود. ويردد أن هؤلاء الكتاب يرون أن هذا الراهب -بحيرا- هو الذى درس لمحمد تاريخ الكتاب المقدس «اليهودى والمسيحى» وما به من عقائد، وأنه واضع خطة هذا الدين الجديد الذى هو مزيج متنافر من اليهودية والمسيحية. يدحض المؤلف هذا الزعم ويقول أنه لا يصدق.

ونحن نؤيده فى ذلك تمامًا، ولكنه هو وبعض الكتاب المسيحيين يرون أن هذا الشاب لابد أنه تَلَقَّى فكرة مفصلة عن تكوين دين جديد وكيفية الدعوة إليه من بحيرا الراهب.

لكنه يقول: «لا ندرى كيف ساعد آخرون محمداً ﷺ فى تدبيج القرآن الكريم. إننا لا نستطيع الوصول إلى حقيقة هذا الأمر بشكل مُرضٍ فى أيامنا هذه، ولا نستطيع أن نحل هذه المشكلة، أو بتعبير آخر لا نستطيع أن نصل فيها إلى نتيجة مرضية».

ورغم وصوله إلى هذه النتيجة، نجده يقرر أن النبى ﷺ راح يظهر بين الحين والحين سوراً من القرآن باعتبارها وحيًا إلهيًا، وكان ذلك متضاربًا -فى رأيه- مع فكرة أنه متعصب مخادع، مع عدم قدرته على الإتيان بالمعجزات.

إن هذا الكاتب لا يستطيع أن يفسر كيف وجد القرآن بيد النبى محمد ﷺ؛ لأنه

= أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، وهكذا حسم القرآن الكريم هذه الفرية بتأكيده على أن القرآن الكريم وحي ونزل باللغة العربية، ولم ينزل أى كتاب آخر بهذه اللغة، كما أن الأمية تفسر تفسيرات مختلفة، فهى لا تعنى فقط الجهل باللغة العربية، وإنما تعنى أربعة تفسيرات:

الأول: وهو المعنى المباشر من الأمى أى الذى يجهل القراءة والكتابة.

والثاني: العرب جميعًا سموا بهذا الاسم (أميين) لجهلهم بالكتب السماوية خاصة كتب أهل الكتاب.

والثالث: سُموا بذلك أميين نسبة إلى أم القرى، فهم أميون نسبة لذلك.

والرابع: يراه العقاد على أنه نسبة إلى الأممية.

ينكر نبوته وينكر أنه أوحى إليه، فهل هناك تصور فى العقل وإفتئات على العقل أكثر من هذا؟! إنه لا يستطيع أن يفسر لنفسه أو لغيره هذا الكم الضخم من المعلومات والقصص وأسس الأخلاق، وخبر من سبقنا، وعلم من سيلحقنا، إنه كتاب جامع للمعجزات والإشارات الكونية، وأسس التشريعات والأحكام الكلية. لا يستطيع بوش أن يفسر كيف تجمع هذا الكم الهائل من المواعظ والحكم والتشريعات بيد محمد ﷺ، لذا عجز عن التفسير واكتفى بالقول بأنه «دَعِىّ» أى ادعى النبوة، لماذا؟ لقد كان يعيش مرتاحًا فى وطنه مكة، يأتيه رزقه رغدًا من الرعى ثم من التجارة، وعرض عليه قومه أن يجمعوا له مالاً ليكون أغناهم، وعرضوا عليه أن يجعلوه زعيمهم، وعرضوا عليه كل ما يمكن أن يرضى أى إنسان.. لكنه رفض، وكان قوله الحاسم لعمه: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

إنه صادق ورب الكعبة، وإنه نبى عظيم، بل أفضل الأنبياء وخاتمهم، وجاهد فى الله حق جهاده حتى بلَّغنا الرسالة، وأدى الأمانة حتى أتاه اليقين.

إنه عجز عن النظر إلى الحق، لذا رأى شيئًا معجزًا، ورفض أن يقر بسبب الإعجاز وأن هذا كله من لدن حكيم عليم، رغم عدم قدرته على تفسير مصدر القرآن الكريم من غير الوحى بالطبع.

ثالثا: تقويم "بوش" لرسالة النبى بشكل عام

يقرر بوش أن محمدًا واحد من أبرز الرجال وأكثرهم جدارة بالالتفات. وهنا يقول: «لقد انتهت المهمة الدنيوية لأكثر المدعين -وهو وصف طالما أطلقه بوش على الرسول الكريم- نجاحًا وتصميمًا. لقد استطاع بطموحه الواسع أن يوجه المذاهب الوطنية فتطورت بداياته المتواضعة إلى ذروة القوة بين العرب. لقد قام بثورة من أعظم

الثورات التى عـرفتهـا البشرية، ووضع أسـاس امبراطوريـة، استطاعت فى ظرف ٨٠ عامًا فـقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكـثر وأوسع مما استطاعتـه روما خلال ٨٠٠ سنة». كما يبـدى دهشته من صعود دينه وانتـشاره السريع واستمـراره ورسوخه الدائم.. وهذه شهادة من واحد من الأعداء، تظهـر عظمة الرسول ﷺ، وعظمة ما أداه للبشرية من خدمات.

والأكثر من ذلك أهمية أنه يفسر هذا الصعود والتفوق بأن الله -سبحانه وتعالى- كان يخصه برعـاية كبيرة؛ لأن النجاح الذى حقـقه لا يتناسب مع إمكاناته، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية مـعقولة. ويؤكد هذا بقوله: «لا مناص إذن من القول أنه كان يعمـل فى ظل حمـاية الله وعنايته. لا تفـسيـر غيـر هذا لتفـسير هـذه الإنجازات ذات النتـائج المبهـرة، ولا شك أنه يجب علينـا أن ننظر للإسلام -فى أيـامنا هذه- بوصفـه شاهدًا قائمًا ينطوى على حكمة غـامضة لله سبحانه وتعالى، حكمة لا تفهـمها عقول البشر أو على الأقل لا تفهمها عقول البشر حتى يتحقق الغرض منها».

وهذه شهادة واضحـة من أحد كبار رجال الدين المسيحـى على أن الله -سبحانه وتعالى- كان راعيًا لمحمد ولنجاحه الكبير.. لكن هذا لا يغير من المحاولات المستميتة لهذا الرجل -بوش- لإثبات أن مـحمدًا دعى، أى لم يكن مرسـلاً، وأنه انتحل القرآن الكريم ولـم ينزل عليه من السماء.

والواقع أن الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب يتعرض للإنجازات غير العادية، التى حقـقهـا محمـد ﷺ فى حيـاته، وبالطبع باعد المؤلف بين هذه المنـجزات وبين أن الرسول ﷺ يُوحى إليـه. ولعل ما يمـيزه فى هذا الشأن عن كـثير مـن المستشـرقين هو تأكيـده أن محـمدًا ﷺ ذُكر فى الـتوراة وفى الإنجيل. فـقد أكـد أن النبوءات اليـهودية والمسيحـية تؤكد أن نبينـا سيناطح جند السموات، وأنه هو النجم الذى هـوى، ويشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا

يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[النجم:١-٤].

ورغم أن المؤلف أورد ما سبق فى سياق وصف فيه نبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام- بكلمة خبيثة هى (الدَّعى)، إلا أنه فى أحيان كثيرة تحدث عنه واصفًا إياه بالنبى وأحيانًا بالرسول، وذلك فى سياق فهمه لعقيدة أن الأمور مقدرة سلفًا، وأن القضاء والقدر -خيره وشره- من الله سبحانه، وأنه لا يكون فى كون الله إلا ما يريد. وما يريده الله سبحانه -على حد فهم بوش- هو أن ينتشر الإسلام، ولكن إلى حين يعود بعده المسلمون إلى حظيرة الكنيسة المسيحية وبعدها يعود المسيح ابن مريم -عليه السلام- ليحكم فى الألفية.

رابعًا: حديث الإفك

فى تتبعه المفصل لسيرة النبى محمد ﷺ، يتعرض لزوجاته فيذكرهن بالاثم واحدة واحدة، ومن الواضح أنه يعتمد على ترجمات كتب السيرة، مثل: ابن إسحق، وابن هشام. ويعرض لحديث الإفك، فلابد من التركيز على أن بوش ينظر دائمًا فى دراسته إلى ما يمكن أن يكون عيبًا فى حياة الرسول من وجهة نظره، غير أنه قريب هنا من نصوص القرآن الكريم، يفسرها حسبما يتراءى له..

انظر إلى تفسيره لآيات الإفك من سورة النور. إنه يورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾[النور:١١].

فهو يعلق على هذه الآيات بقوله: «وقد أشيع ما يفيد عدم إخلاص عائشة -رضى الله عنها-، ولم تزل هذه الوصمة تمامًا عنها حتى أيامنا هذه. وعلى آية حال، فإن النبى لم يصدق ما نُسب إليها.

وهو هنا يذكر الحادث، وبين عدم التصديق له من قبل النبى ﷺ، ويجعل الآية دليلاً على ذلك، فهو يريد أن يدلل من ذلك على أن النبى ﷺ هو كاتب القرآن. يتبين من ذلك أن "بوش" مغرض، فرغم قراءته للسيرة وكيف أن الرسول ظل حزينًا بسبب

ما يُشـاع عن زوجتـه، ولكن الوحى أنقذها، وفـرض عقوبات طُبِّـقَت على من تناول عرضـها وشرفـها، ثم أعطى للمسلمـين درسًا معـبراً فى ضرورة سـلامة بنية المجـتمع الإسلامى، والحرص عـلى عدم إشاعة الفاحـشة فيه.. لا يتـحدث بوش عن شىء من ذلك ربما لتـفاهة مـا يمكن أن يُنسب إلى الأعراض فى المجـتمع الأمـريكى، ولكنه لىٌّ للحقائق على كل حال.

خامسًا: من معالم شخصية النبى محمد ﷺ

نظرًا لدراسة بوش لسـيرة النبى ﷺ دراسـة واضحة، فـقد استطاع أن يلم بمناقبه وبالصفات الخلقيةُ الرفيعة له، وقد وصف ذلك فى كتابه، لكنه عندما يتحدث عن كل صفـة وعن شخـصيـة الرسول بشكل عـام، لا يخلو أبدًا من لمزه والإساءة إليـه بطرق مختلفة.

فهـو يقول: «يمكننا أن نوافق على أنه كـان حاد الذهن، حصيـفًا ذكيًـا، حاد الذاكرة، بارعًا فى فهـم الطبائع البشرية». ويعترف أيضًـا بأنه كان عذب الحديث لطيف المعـشـر، كـما لـم يكن ثرثاراً ولديه قـدرة فـائقة عـلى جذب الأصـدقـاء والأتباع وربطهم بشخصيته. ويرى أنه وهب شخصية متفوقة زاد تفوقها مع تقدم العمـر، ومع ذلك فإن هذه الشـخصـية العظيـمة المتـفوقة لا تسلم مـن لسان هذا الكاتب المفترى وقلمـه، فهو يقول إن محمداً ربما لا يكون أكـثر من إنسان عادى لو عاش فى المحيط الأوروبى المتحضر؛ لأن البلاد التى بزغ فيها نجمه كانت تتسم بالفظاظة والبـربرية. كذلك فـإن تاريخ محـمد ﷺ يظهـر أن التعصب والـطموح والشهوة هى الدوافع التى تحـركه، بالإضافة إلى العواطف والانفعـالات المتأججة فى صدره -من وجهة نظر الكاتـب-، ويرجع ما يعتبره انحرافًا عن الطباع السوية إلى ظروف عصره وإلى طباع قومه. فهو يعدد زوجاته كما كانوا يعددون، ويقتل كمـا يقتلون، بل يقـول عبارة ضـخمـة وغير صـحيحـة على الإطلاق، وهى: أن الرسول «لـم يراع القـواعد الأخـلاقية التى قـال بها هو نفسـه والتى فرضـها على

الآخرين بأوامر صارمة مرعبة. لقد أساء استعمال حقوق النبوة التى ادعاها ليستر إسرافه فى حياته الشخصية». وهذا الوصف الكاذب اللعين لا دليل عليه عند هذا الرجل إلا فى تعدد زوجات النبى ﷺ بأكثر مما هو مسموح بشكل عام للمسلم العادى.

وهو هنا يستند إلى قراءة مغرضة وشاذة لبعض آيات القرآن الكريم، بل ولا يخجل هذا المغرض من القول:

«ويمنعنا الحياء من الدخول فى تفاصيل هذا الجانب من حياة محمد ﷺ وشخصيته (يقصد الجانب المتعلق بالزواج وملك اليمين)، لكن القارىء يستطيع من من خلال ما ذكرناه آنفًا أن يدرك كيف استغل النبى نبوته بوصفها أداة لإشباع الرغبات الحسية. ومن الأمثلة الصارخة ما حدث من اتصاله بالجارية المصرية مارية القبطية. لقد وصل خبر هذا الحب المحظور (الاتصال بملك اليمين) لمسمع إحدى زوجاته الشرعيات، بل لقد رأت بعينها ما حدث (أى هذا الاتصال الجنسى) فوبخته توبيخًا مريراً فوعدها مقسمًا -ليهدّئها- ألا يعود لهذا. لكن طبيعته غلبت عليه بعد ذلك بوقت غير بعيد، فلجأ إلى الوحى ليغطى هذا الخزى فكان لابد من نص قرآنى يُحلّه من قسمه الآنف ذكره. وتلك صفحة سوداء لوثت القرآن الكريم ومؤلفه (يقصد محمداً ﷺ) من وجهة نظر هذا المغرض.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم:١-٢].

ويقول هذا المدعى: «هنا نجد الأمر يتناقض مع ما يفرضه النبى على أتباعه، فنحن نقرأ فى القرآن الكريم ما فرضه عليهم فى الآيات التالية:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[النحل: ٩١-٩٢].

وفى السورة نفسها: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل:٩٤].

هذه مجرد أمثلة من الطبيعة العامة للقرآن الكريم، إن الجزء الأكبر منه -إلى حد كبير فى فهم المؤلف- قد صيغ لتحقيق أغراض خاصة ليكون ذريعة قلما تفشل إذا تعذرت الذرائع الأخرى، فجبريل ينزل بوحى جديد -دائمًا- مطابق للغرض المطلوب تحقيقه، إن شرع النبى فى مشروع جديد، وإن واجه اعتراضات جديدة، وإن كانت هناك صعوبات يجب حلها أو تجاوزها إن نشب نزاع بين أتباعه.. لذا فإننا نجد -كنتيجة حتمية لهذا- اختلافات وتناقضات فى هذا الكتاب (يقصد القرآن الكريم) يصعب إنكارها. ومفسرو القرآن والمسلمون عامة يعرفون هذه الحقيقة لكنهم يبررون ذلك بقولهم" إذا ناقض الوحى اللاحق الوحى السابق فإن الوحى اللاحق نسخ أو ألغى الوحى اللاحق"، وهناك أكثر من مائة وخمسين آية ينطبق عليها هذا (حكم الناسخ والمنسوخ) بل إن الدّعي نفسه (يقصد محمداً ﷺ)[1] يؤكد هذا، ففى القرآن الكريم:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٠٦].

(١) قضية النسخ قضية خلافية فى القرآن الكريم لدى الأصوليين والأصولية، فمنهم من قال بعدم وجود أى نسخ، وقام بالتوفيق بين الآيات التى يبدو فيها التعارض الذى أدى إلى النسخ. ولدى الآخرين وقع النسخ فقط فى بعض أحكام التشريعات (تشريع الخمر مثلاً). أما آيات العقيدة وأخبار من قبلنا، فلا نسخ فيها على الإطلاق. وعمومًا لا نعرف من أين أتى المؤلف بوقوع النسخ فى مائة وخمسين آية. إن النسخ لم يقع إلا فى آيات معدودات مثل: «الصيام، الخمر، بعض أحكام الميراث» فقط لا غير.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:١٠١].

وإذا وُجه المسلمون المعاصرون بهذا -كما حدث أثناء نقاش هنرى مارتين معهم- أجابوا: هذا الاعتراض تافه لا جدوى منه لأن الله -سبحانه- يراعى دائمًا ما هو لازم لعبيده، ولا شك أن الآيات المنسوخة نزلت فى وقت اختلفت أحواله عن أحوال لاحقه كان لها مقتضيات أخرى. فالله واهب الشريعة الإلهية لابد أن تنظر إليه بوصفه معالجًا روحيًا لعبيده، تمامًا كما يصف الطبيب لمريضه الدواء المناسب لعلته..»

وهذه قراءة شاذة ومغرضة للقرآن الكريم؛ لأنها تتمشى مع اتجاهه العام فى القول بأن القرآن الكريم مُختلق وكتبه بشكل أو بآخر سيدنا محمد ﷺ. ولم نقرأ فى كتب السيرة ما يشير إليه من اتصاله الجنسى بمارية القبطية، إذ من المسموح به شرعًا إتيان الأمة؛ لذا لا أعرف علام يعيب الكاتب على النبى حق الاتصال ولماذا جعله غير مشروع؟! ولماذا تؤنبه إحدى زوجاته عليه؟، فآيات القرآن الكريم تعطى لكل المسلمين هذا الحق، وعلى رأسهم النبى محمد ﷺ.

كما إن سيرة النبى محمد ﷺ فى الزواج لا تجعل أى إنسان منصف يوجه هذا الاتهام إليه، فالنبى ﷺ عاش مع خديجة -رضى الله عنها- التى كانت تكبره بخمسة عشر عامًا، لمدة ربع قرن، لم يتزوج عليها أحد، وهناك مبررات كثيرة أدت إلى زيجاته الأخرى، وهذه المبررات معروفة جيدًا لدى كل كُتَّاب السيرة من العرب وغير العرب المنصفين.

سادسًا: طبيعة الدعوة الإسلامية فى نظر بوش

يعتبر "بوش" أن العقائد الأساسية التى يدعو إليها محمد ﷺ هى: أنه لا إله إلا الله، ولا معبود سواه، وأن عبادة الأصنام شيء غبى بغيض ويجب الكف عنه سريعًا.
يقول بوش:

«والسورة رقم ١١٢ فى القرآن الكريم عنوانها إعلان وحدانية الله (المقصود سورة الإخلاص)، وهى تحظى بتوقير شديد من المسلمين، وعلى وفق ما يروى عن النبى فهى تعادل ثلث القرآن، ويُقال إن الله أوحى بها إجابة على سؤال قريش عن صفات الله الذى يدعوهم محمد لعبادته. وهى -أى سورة الإخلاص- تتكون من جملة واحدة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ وتتردد هذه العقيدة تباعًا فى سور القرآن وآياته والمؤلف (يقصد واضع القرآن) لا يهدف بهذا التكرار مجرد تخطئة تعدد الآلهة والوثنية اللتين كانتا شائعتين آنئذٍ بين أمم الشرق، وإنما هو يوجه أيضًا ضربة قاضية للعقيدة المسحية القائلة بأن المسيح هو ابن الله (الابن الوحيد لله).»

إن محمداً ﷺ مثله فى ذلك مثل آخرين فى عصور أخرى، لم يستطع أن يتصور عقيدة المسيحيين فى نسبة المسيح إلى الله، أو بتعبير آخر لم يستطع أن يفهم فكرة بنوّة المسيح لله أو انحداره منه مع أن هذه الفكرة لا تؤثر بشكل مباشر فى حقيقة أن الله جل جلاله واحد أو بتعبير آخر حارب محمد فكرة التثليث مع أنها -فى نظر المؤلف- لا تؤثر مباشرة فى التوحيد الأساسى للذات العليا.

ويواصل المؤلف كلامه: وفيما يرى محمد أن أكبر السخافات هو اعتقاد أن المسيح ابن الله أو أنه مساو للآب (الله) فى الندية والأزلية. وعلى هذا فإعلانات العهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) فيما يتعلق بشخص المسيح وطبيعته هاجمها واضع القرآن الكريم -فى نظر المؤلف- بلا هوادة لأنه لم يكن لديه الصدق والموضوعية أو القدرة على فهم الفرق بين عقيدة الثالوث الأقدس (كون الآب والابن والروح القدس إلهًا واحدًا) وعقيدة التثليث التى تعنى وجود ثلاثة آلهة منفصلين (أى الفرق بين عقيدة الترينيتى وعقيدة التريثزم). لنقرأ فى القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[سورة الإخلاص].

و المفهوم أن الفقرة الأولى فى الآيـة تعنى ألا تغلو فى دينكم برفض المسيح، كما فعل اليهود أو برفعه لدرجة مساوية لله كما فعل المسيحيون. قال تعالي:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[النساء:١٧١].

وفى القرآن الكريم أيضًا فى سورة المائدة الآية رقم ١٧: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وفى الآيتين ٧٢ و٧٣ من السورة نفـسها (المائدة) نقرأ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وفى الآية ٧٥ من السورة نفـسها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. وفى القرآن الكريم نجـد أيضًا فى السـورة التاسعـة (التوبة) ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣].والواقع أن المؤلف يشـيـر إلى كل هذه الآيات فى كتابه، ويعلق عليها بالقول:

«بهذا المبدأ الأساسى فى العقيدة الإسلامية، ربط محمد وجوده واعتبر نفسه نبى الله الحقيقى والوحيد منذ موسى وعيسى، ففى القرآن الكريم (سورة الجاثية) الآيتان

١٦ و١٧: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

وفى الآية التالية من السورة نفسها نقرأ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وأكد محمد ﷺ أن هدف رسالته ليس إدخال نظام دينى جديد تمامًا، وإنما إعادة دين الآباء والأنبياء القدامى من آدم حتى المسيح، فهو الدين الوحيد الصحيح ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى:٧].

وفى سورة البقرة آية ١٣٦ وما بعدها: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

يقول المؤلف: «لقد راح محمد يدعو إلى إحياء العقيدة الصحيحة القديمة ليرسخها من جديد. وذلك بالدعوة إلى تطهيرها من وثنية العرب وتحريفات اليهود والنصارى. لقد قدم محمد -لفترة- حقيقة أن كتابى العهد القديم (التوراة وملاحقها) والعهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) كانت فى الأصل وحيًا من الله إلا أنها حُرِّفَت -ويا للخجل- بعد ذلك، وأن النسخ الموجودة الآن غير جديرة بالتصديق أبدًا، وبالتالى فهو قلَّما يقتبس منهما فى القرآن» أ.هـ...

والواقع أن الدين الحق هو دين الإسلام، وأن الرسائل السابقة قد أنزلت من السماء إلى الأرض لهداية البشر، وأن إحدى المعجزات التى تدل على صدق العقيدة

الإسلامية هى اعتراف الإسلام بكل هذه الرسالات، وجعل الإيمان بها جميعًا أحد الشروط الأساسية لتحقق الإيمان.

وهناك أدلة كثيرة على تحريف اليهودية والمسيحية، وكان هناك فريق من المسيحيين يوحدون الله ولا يشركون به شيئًا، وقضية التثليث هى قمة التحريف للرسالة، والقرآن الكريم يجعل من يؤمنون بها كفرة.

* * *

خاتمـــة

أردت التركيز على بعض الأفكار التى تتصـل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، حيث إنها جاءت من أحد الكهنة المرموقين من ناحية، ومن ناحية أخرى هو كاهن تربى فى إحدى الكنائس، وكان من غرائب الأمور أن يصل ابنه وحفيده إلى أعلى المناصب فى الولايات المتـحدة الأمـريكيـة. ولا شك أن أى إنسان عـادى لابد أن يتأثر بوالده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير دينى على من حوله.

والواقع أن جورج بوش -حاكم الولايات المتحدة الحالى والذى يقضى دورة ثانية وأخيرة فى الحكم- قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التى تعادى الإسـلام ونبى الإسلام، لقد أعلنهـا حربًا صليبـية ضد الإسـلام والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر وإن قدم تبريرات تعطى لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد ركـزنا على المسائل التى تتـصل بالقراءة الشـاذة لكثير مـن آيات الكتاب الكريم -أعنى القـرآن-. فهـذا الكاتب لم يقرأ العـربية، واعـتمـد على ترجـمات للقـرآن الكريم، والمترجم إذا نقل بآراء مـغرضـة فلا يمكن أن يأتى بالحـقيـقة. لذا فإننـا نستدل على الـصورة الذهنية لـدى تفكير هذا الرجل كـما وجدت؛ لـنعرف كيف يفكر الغرب الأمريكى فى الإسلام ونبيه.

إن الفـرية الكبرى التى نسـمعـها دائمًـا فى كل ملتقى فكرى فى الـغرب، أن القرآن كُـتب بيد مـحمد ﷺ؛ لـذا كثيـراً ما كان يـأتى بالآيات التى تدعم موقـفه، وتبرر كل خطأ يرتكبـه، أى أن الإسلام ليس برسالة، والـقرآن ليس منزلاً من عند الله -سبحانه وتعالى-.

ومع ذلك، فلقـد رأينا الارتباك والتناقض فى كـثيـر مما كتبه هذا الرجل، فـهو لا يعرف كيف وصل النبى ﷺ إلى هذه الثروة الضـخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة. ولا يصدق مثلاً دعاوى بعض المستشرقين الذين قالوا: إنما علمه "بحيرا" الراهب؛ لأنه لا يعـقل أن هذا الرجل قد أعـطى للنبى ﷺ كل هذه الثـروة فى مقـابلة أو مـقابلتـين،

فضلاً عن اختلاف اللغة، إذ ليس من المفترض أن "بحيرا" هذا كان يتحدث العربية وعلّم النبى بها. وهكذا وقف الرجل حائراً وهو يتحدث عن المصدر الذى استقى منه القرآن الكريم؛ لأنه رفض فكرة الوحى.

ويبدو التناقض عند هذا الرجل فى موقف آخر، فهو يعتبر وجود النبى عقابًا نال المسيحيين بسبب انحرافهم عن جادة الصواب، وأن من شأن وجوده أن ينبههم إلى ما وقعوا فيه من أخطاء، وأن المسيحيين سيعودون إلى دينهم الحق بعد ذلك، وأن المسلمين أنفسهم سيعتنقوا المسيحية. وهو يحاول -فى تردد آخر- أن يضع القواسم المشتركة بين القرآن، دين العهدين القديم والجديد. والواقع أن هذا الازدواج فى التفكير يدل على العمى الذى عاش فيه هذا الرجل -بوش-، والذى يعيش فيه من خلفه فى هذا الفكر الشاذ حتى الآن. فهو بين إنكاه وبين الاعتراف بأنه رجل صالح وأن عناية الله ترعاه، وأن انتصاره فى غزوتىَ أحد والخندق رغم التفاوت الكبير فى القوة والاستعدادات بينه وبين أعدائه، لهو أمر لا يمكن أن يتم إلا بعون من الله وبإرادته، لذا يصرح بأن الله وقف معه، وأن الله أراد له الانتصار، وأنه حقق فى ٨٠ سنة ما لم تحققه روما فى ٨٠٠ سنة.

كما أوضحنا فى البحث القراءات الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة فى حديث الإفك، وفى زواج الرسول ﷺ، وفى قتل بعض الأسرى، وإن كان التروى أيضًا فى هذه المفاهيم واضح؛ لأنه يمتدح الرسول كثيراً فى خلقه وفى تعامله مع عدوه، وفى تأثيره علي طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنصرته، ثم فى تقريره بأنه كان «زير نساء»، وأنه كان مدعيًا كما يقول بوش، تعالى الله عما يشركون.

إن قناعتى بعد قراءة هذا الكتاب هى أننا يجب أن نبذل جهداً كبيراً لترجمة أصول ديننا بشكل واضح جلى إلى اللغات الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية باللغات الحية ثرية وواضحة. كما إن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة فى العالم الإسلامى يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ.

والله ولى التوفيق،،